مقدّمة

﴿ الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمٰوات وَالأَرْضِ ، جَاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ، يَزِيْدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ . مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا ، وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴾[1] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله شهادة تُنجيني من أهوال يوم القيامة ، ومن عذاب النار ، وتدنيني من رحمة الله ورضوانه ، وتدخلني جنة النعيم مع المقربين الأخيار .

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه .

وبعد : فإن للثقافة الإسلامية دوراً عظيم الأهمية ، بالغ الأثر في تحديد معالم الشخصية الاسلامية لدى الفرد ، ولدى المجتمع ، تلك الشخصية التي تتسم بسمات القوة والهيبة والمجد والرفعة والنبل والكرامة والاتزان والايجابية ، وتؤهل المسلم لأن يقوم بدوره في تشييد بناء الحضارة الانسانية ، وتعينه على الإسهام في النهضة العلمية والتقنية . ذلك لأن مهمة المسلم في الإصلاح والتهذيب ، والتربية والتعليم تجعله في مقام السيادة والإمامة والقيادة والريادة لسائر أمم العالم وشعوب الأرض ، وتحمله أمانة السماء إلى الأرض ، ورسالة الله إلى البشرية .

---

(١) الآيتان (١ ، ٢) من سورة فاطر .

والمسلم وريث المصطفى المختار عليه الصلاة والسلام في التبليغ والبيان ، والنصح والارشاد ، والدعوة والتقويم ، وإحقاق الحق ، وهدم الباطل ، ومحاربة الكفر وأعوانه والضلال وأتباعه ؛ إذ أن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ؛ وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به ، فقد أخذ بحظ وافر .

ولا يتمكن المسلم من أداء هذا الدور الجليل العظيم ما لم يكن معتزاً بعقيدته ، فخوراً بمبادئه ، مستمسكاً بتعاليم دينه ، خاضعاً لخالقه ، مستسلماً له في كافة الأمور والأحوال ، متدبراً آيات القرآن العزيز الحكيم ، فاهماً سنة الرسول ﷺ ، منفذاً للأوامر الإلهية مجتنباً النواهي ، مدركاً حكمة الله في الخلق ، وفي الاماتة ، وفي البعث والنشور وفي الحساب والعرض ، وهو فوق هذا كله لين العريكة ، قوي العزيمة ، عالي الهمة ، شكور صبور غيور على حرمات الله ، طيب المأكل ، عف اللسان ، صادق المقال ، غني الجنان ، مرتبط بماضيه الزاهر ، متبصر في حاضره ، عالم بوسائل إصلاحه ، لديه القدرة على مواصلة المسير نحو مستقبل تعلو فيه كلمة التوحيد ، وترفرف فيه راية الإيمان . . .

هذا المسلم الذي اتقدت مشاعره للإسلام وحماسه لمبادئه ، ووفاء بتعاليمه ، وولاء لأهله . . .

هذا المسلم الذي تهذبت عواطفه وحسنت أخلاقه واستقام مسلكه قادر على إرساء قواعد الإيمان في الأرض ، وعلى متابعة الخطى في موكب الإسلام ، قادر على التصدي لخصوم الإسلام ، ورد تحديات الملحدين المغرضين ، وإبطال حججهم ، ونقض آرائهم ، ومحاربة أفكارهم ، ورد طعناتهم في نحورهم هذا المسلم ذو الفكر المستنير ، والقلب الكبير هو الذي نهل من معين الثقافة الإسلامية ، وطاف في أفيائها ، وورد منها كل مورد ، وجمع من قطافها ما لذ وطاب ، ورشف من مائها العذب الزلازل . . وعاش في حماها ، ورفع رايتها ، وتفانى من أجل خدمتها وتوضيحها للناس بيضاء نقية .

والثقافة الإسلامية قادرة على إيجاد حياة جماعية تسودها قيم السماء ، تلك القيم التي ترفع من شأن الإنسان ، وتعلي قدره ، وتجعله ـ بحق ـ خليفة لله تبارك وتعالى على وجه هذه البسيطة ، ينفذ شريعته ، ويطبق منهجه ، فلا يظلم ولا يطغى ، ولا يبغي ولا يتعسف . . . هو إنسان يشارك أخاه الإنسان في أصل

الخلقة ، وفي وحدة المصير والمآل ، وليس له أن يستعلي على غيره ، أو أن يعتدي على أحد ، أو أن يسلب الآخرين حقوقهم في الحرية والعمل والعلم . . . وهكذا فإن الناس في قيم الإسلام وموازينه أبناء علات ، كلهم لآدم وآدم من تراب . . .

هذا المنهج الثقافي ، وهذا العطاء الفكري والبذل الروحي والأساس الحضاري ، وهذه المبادىء الاجتماعية والقيم الخلقية والآداب المعاشية تفردت بها الثقافة الاسلامية ، ولم تستطع أية ثقافة من ثقافات العالم أن تضع الإنسان في مكانه المناسب ، بل جعلت منه إما إنساناً مستعبداً مقهوراً مظلوماً مغلوباً على أمره لا يتمتع بأي حق من حقوقه الإنسانية الطبيعية ، وإما إنساناً آخر طاغياً باغياً متسلطاً متجبراً بغير حق . وسبب هذا الاختلال والاضطراب في مقياس الثقافات الأخرى يرجع إلى عدم اتصافها بصفة الاتزان والثبات ، كما يرجع إلى أنها لا تستمد مبادءها وأسسها من وحي السماء .

والثقافة الإسلامية توثق الصلة بين الحاضر والماضي ، فالماضي مجيد مشرق نهض به رجال آمنوا بالله رباً ، وبمحمد نبياً ، فبذلوا الغالي والنفيس لتكون كلمة الله هي العليا ، ولم يخرج أحدهم من داره وبيته وبلده ليجوب أقصى الشمال ، أو قصى المغرب والمشرق من أجل مكسب مادي ، أو منصب دنيوي ، ولو كانت المكاسب المادية الدنيوية غاية واحد منهم لخرجوا من جزيرتهم محاربين قبل الإسلام ، وقد عرفوا بالقوة والميل إلى الحرب والعنف والشدة ، ولكن جهاد السلف الصالح ، والرعيل الأول لم يكن ابتغاء مغنم أو لغرض دنيوي ، وإنما كان من أجل إعلاء كلمة الحق ولينالوا إحدى الحسنيين : إما الشهادة وإما النصر .

هذه الصفحة المشرقة البيضاء الناصعة التي سجلها رجال الإسلام الأبطال بأعمالهم المشرفة ، لا بد أن تتألق في الحاضر ، وأن تواصل المسيرة بتقدم نحو المستقبل في ركب حضاري مستمر لا يقف ولا يكل ، لا بد للإسلام من رجال يحمون حماه ، ويطبقونه على أنفسهم وفي مجتمعهم عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، يؤمنون به ايماناً مطلقاً ، ويتفانون في سبيل خدمته ، وفي سبيل توضيح معالمه والدعوة إليه ، وإبعاد الشبه والدسائس التي أثارها أعداء الإسلام من

استعمار أو استشراق أو تبشير أو صهيونية ، أجل لا بد للإسلام من رجال تقلقهم وتقض مضجعهم الأوضاع الحالية لبعض المسلمين الذين لم يتح لهم أن يثقفوا ثقافة إسلامية ، أو الذين تأثروا من قريب أو بعيد بما يثيره العدو من ضلالات وفتن وشبهات .

ومهمة قادة الفكر والمصلحين الإسلاميين تعظم في هذا الوقت الحاضر ، وتتمثل في تسليط الأضواء على الأسس العامة للإسلام من عقيدة وخلق ونظم وتشريع . وبيان قدرة وإمكانية ديننا العظيم لسد حاجات العصر ومتطلباته .

كما تتمثل في الدعوة إلى تحصين عقول الجيل الصاعد من الغزو الفكري الذي تتبناه الحضارة الغربية والشرقية والذي يهدف إلى تمييع الشخصية الإسلامية وهدم البناء الاستقلالي للأمة الإسلامية ، وإبعاد آثار الثقافة الإسلامية عن أفكار أبناء الإسلام .

كما تتمثل أيضاً في الدعوة إلى النهضة الشاملة في شتى ميادين الحياة : اقتصادية وعمرانية ، لأن الانسان المسلم إيجابي فعال ، يؤثر ويبني ، يشيد ويعمر ، يزرع ويبذر ، يعلم ويتعلم ، ينفع ويغدق الخير لصالح البشرية جمعاء . .

وهكذا فالثقافة الإسلامية تصبغ الإنسان بصبغة استقلالية ذات خلق أصيل وقيم ثابتة ، ومن ثم فإنها تضع الأمة الإسلامية في موضع القيادة والزعامة من سائر الأمم والشعوب . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

وإنه لمن تمام النعمة على المسلمين أن تحظى المكتبة الإسلامية بعدد وافر من كتب الثقافة الإسلامية القيمة التي تبصر الجيل بدوره الجليل وبمهمته

---

(١) الزخرف/ ٤٤ .

(٢) آل عمران/ ١٠٤ .

الجسيمة في الحياة الدنيا ، وتعينه على فهم دينه فهماً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض ، وتسلحه بسلاح العقيدة السمحة والفكر النير الواعي ، وتطبعه بطابعه المميز الأصيل في مواجهة التيارات المعادية للإسلام والتي ما برحت ترسم خططها وتنفث سمومها وتجمع مكائدها وتبث مكرها لتشويه الفكر الإسلامي وإبعاد المسلمين عن دينهم وعن عقيدتهم .

وقد رأيت أن أشارك في هذا الميدان فأكتب في الثقافة الإسلامية بحثاً لعله يعين على تحقيق المنشود ، وقد توخيت أن يكون نهج هذا البحث بسيطاً غير معقد ، وعميقاً غير سطحي لأفيد وأستفيد ، وليخدم ثقافتنا الإسلامية وفكرنا الإسلامي على النحو المرجوّ . والله من وراء القصد .